من شؤون المسلمين والعالم

دروس من أفغانستان للحكام والشعوب

درس أفغانستان التاريخيّ المعاصر من أبلغ الدروس السياسية والتاريخية .. لأصحاب السلطة الحاكمين وللشعوب المحكومة في بلادنا الإسلاميّة

لو أراد أصحاب السلطة .. السياسيون .. الحاكمون الموجّهون لأمور بلادنا في الوقت الحاضر ، أن يتعلّموا مـــن درس أفغانستان الماثل أمام أعينهم لوجدوا الكثير في مجالات عديدة :

– من ذلك على سبيل المثال الدروس في التبعية .. التبعية التي تبدأ أحياناً بمجرّد إرسال بعض الضباط للكليـــات العسكرية في دولة كبرى ، واستقدام بعض الخبراء والمستشارين منها ، وتلقّي بعض المساعدات غير المـــشروطة .. ثمّ تصل إلى ما وصلت إليه في أفغانستان : طائرات تحرق ودبابات تدمّر .. والكريملين يوجّه ، فإذا وجد لنفسه مصلحة في إسقاط تابع وتنصيب آخر ، فعل ذلك معتمداً اعتماداً رئيسياً على إمكانات السيطرة التي حصل عليها عن طريـــق التابع الأوّل .. فيسقط هذا سقط المتاع ، ويرفع ذاك إلى مرتبة بطل وطنيّ ، أو محرّر انقلابي ، أو يحكـــم هكـــذا .. حاكماً مستبداً دموياً بلا قناع

– ومن الدروس أيضاً أنّ التبعية الخارجية لا يمكن بحال من الأحوال أن تجتمع لحاكم من الحكّام مع (ثقة) الشعب به .. فإمّا هذا أو ذاك : إمّا أن تكون جبهته صاغرة لعدوّ بلده ويده ملوثة بدماء شعبه ، أو أن تكون جبهته مرفوعة باستقلالية بلده ويده موضوعة في أيدي أبناء شعبه

– ومن الدروس أيضاً سقوط تلك الدعوى الزائفة التي يردّدها حكّام نصبوا من أنفسهم أوصياء على الشعوب ، يسوقون البلاد على هواهم هم ، وهم يدّعون لأنفسهم دون قاعدة مشروعة تمثيل إرادة الشعوب .. الدعوى القائلـــة أن شعوبنا لا تزال بمستواها الثقافي والفكريّ والاجتماعي دون الحدّ اللازم لتقود نفسها بنفسها .. فلقد أسقط شعب أفغانستان المسلم المجاهد الذي تتجاوز نسبة الأمية فيه ٩٠% تلك القوى الزائفة ، بإثباته استحالة إخضاعه بـــالقوة ، فالتحرّر من سلطة البشر على البشر جزء من فطرة الله التي فطر الناس عليها .. لا تتبدل ولا تتغير

– ومن الدروس أيضاً التي لو يعيها الحكام بإخلاص لتبدّلت موازين علاقاتهم الذليلة بالمعـــسكرين : أن المـــصالح التوسّعية والعدوانية والاستغلالية لهذين المعسكرين لا يمكن أن تلتقي في أية مرحلة من المراحل مع مصلحة بلـــد مـــن

بلادنا الإسلاميّة لقاء حقيقياً ثابتا .. ولا يمكن أن يصدر عن أحد هذين المعسكرين دعم ما لتحرّر بلد من بلادنا من نفوذ المعسكر الثاني ، إلاّ إذا كان المقصود من (التحرر) هو إسقاط ذلك البلد في عبودية النفـــوذ للمعـــسكر الأوّل صاحب الدعم المزعوم ..

الدروس كثيرة .. لو كان حكّامنا .. وساستنا يستفيدون من دروس التاريخ المعاصر على الأقلّ ويتّعظون

طالما صوّر فريق منهم الاتحاد السوفييتي على أنه البلد الصديق .. عدوّ الإمبريالية الغربية .. رائد التقدّم الاشتراكي في البلدان النامية ! .. وإذا به يظهر على المسرح الدامي في أفغانستان عارياً لا تحجب حقيقته عن العيون إلاّ غـــشاوة الخيانة الظاهرة ، فهو العدوّ اللدود لشعب مسلم مسالم ، يقتّل ويسجن ويشرّد .. كما فعل بشعوب إسلامية أخرى يستعمر أرضها منذ عشرات السنين .. وهُوَ هُوَ الدولة الإمبريالية من الطراز الأوّل كالولايات المتحدة الأمريكية سواء بسواء : أسلحة فتّاكة بالأبرياء ، ووحشية دموية بلا حدود ، وتقتيل جماعيّ علني ، واستعمار استغلالي بلا قناع .. وهو هو الذي يحطّم أسباب التقدّم في دولة نامية تعتبر من أفقر دول العالم إطلاقا .. بدلاً من المساعدة الـــتي يتغنّـــى بالحديث عنها أنصاره من عبّاد الاشتراكية والماركسية داخل أرضنا الإسلاميّة

الدروس كثيرة .. لو كان حكامنا وساستنا يستفيدون من دروس التاريخ المعاصر على الأقلّ ويتّعظون

طالما تشدّق فريق آخر منهم بالإشادة بدور الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أفغانستان على الأقل ، وصورها على أنّها الدولة الصديقة ، عونها هو الضمان لمواجهة المطامع السوفيتية التوسّعية في أرضنا ، والارتباط بها هـــو الـــسبيل للتقدّم الحديث في بلادنا .. وإذا بدرس أفغانستان يعرّي الولايات المتحدة الأمريكية إلى أقصى الدرجات لمن كانت له عيون يبصر بها .. فهي التي مدّت أيدي نفوذها إلى البقية الباقية من المناطق التي لم يصل إليها النفوذ السوفييتي بعـــد : قواعد عسكرية قديمة توسّع وجديدة تقام ، وأساطيل حربية تعزّز وقوة تدخّل سريعة تشكل ومزيـــد مـــن الخـــبراء العسكريين مع مزيد من مواقف العداء في سائر قضايانا الأخرى .. وإذا بفصول المسرحية التي ساعدت المتشدّقين على ادّعاء ما ادّعوا فترة من الزمن أعطت أمريكا الفرصة للحصول على ما تريد ، والتي بدأت بقطع الحبوب عن الاتحـــاد السوفييتي لتنتهي كما بدأت باستئناف ضخّ الحبوب ، وما تبدّل شيء خلال تلك الفترة إلاّ أن الغرب حصل علـــى مزيد من الضمانات السياسية والعسكرية والاقتصادية لاستمرار ضخّ النفط إليه ، وإلاّ أن حلقة حصار التصفية علـــى قضية فلسطين ازدادت إحكاماً عن ذي قبل .. وكان محور سياسة المواجهة مع موسكو أثناء دوران فصول المسرحية هي (أفغانستان) فتحوّل ، بل عاد إلى صورته الحقيقية ، ليتركّز على بولندا في وسط أوروبا مركز الانفراج الـــدوليّ الحقيقيّ .. وأسقطت أفغانستان من الحسابات ، ومن شروط المفاوضات ، إلاّ من بعض عبارات تذكر بالمناســـبات على شيء من الاستحياء .. وستغيب يوم تكتمل حلقة النفوذ الأمريكي بوصولها إلى باكستان وجنوب شرقيّ آسيا ، بعد أن اكتمل ترسيخها في تركيا وفي جنوب غربيّ آسيا

الدروس كثيرة

ولكنّ حكامنا لا يستفيدون أو لا يريدون الاستفادة من دروس التاريخ ، لا التاريخ الماضي ولا المعاصـــر .. ولا يتّعظون ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ** ﴾ [الصافات : ١٧٤-١٧٥]

أمّا الشعوب فهي الأقدر على استيعاب التاريخ والواقع والعصر ، وعلى الاستفادة من الـــدروس في أفغانـــستان وسواها .. لا يرى ذلك من يقيس أعمار الشعوب بأعمار حكّامها الزائلين المحدودة القصيرة .. إنّما يراه مـــن يـــرى الشعوب من منظار الأجيال وما تقوم به من أدوار متتابعة في صناعة التاريخ

شعب أفغانستان يصنع التاريخ بدمائه ، ويعلّم الدنيا باعتماده على نفسه كيف يمكن التـــصدّي للدولـــة العتيّـــة الإمبريالية الكبرى في الشرق ، بسلاح العقيدة والبذل والتضحية والصبر في الجهاد .. وسيحقّق بعون الله عزَّ وجـــلَّ النصر الذي يتطلّع إليه

وإنّ الدرس الأوّل لسائر شعوبنا الإسلاميّة هو التأكيد على ما تقول به فطرتها السويّة ، أن تنفض يدها من الشرق والغرب على السواء ومن أتباع الشرق والغرب المصرّين على الاستمرار في تبعيّتهم للمعسكرين

وإنّنا لنلمس كيف تستوعب الشعوب دروس أفغانستان وسواها ، وما الصحوة الإســـلاميّة الـــشاملة لبلادنـــا الإسلاميّة إلاّ الإشارة المبشّرة بنصر قريب والمنذرة لأعداء هذه الشعوب ومستغلّي أوضاعها بالثبور

وإنّما تتمثّل الصحوة الإسلاميّة الحقيقية في ذلك الغليان القائم على مستوى الشعوب نفسها في كـــلّ مكـــان ، والذي لا تكاد تملك الأنظمة القائمة البعيدة عن الإسلام إزاءه سوى محاولة ارتداء ثياب الصحوّة الإسلاميّة أيضاً فوق رداء تبعيتها للشرق والغرب

وفي ذلك الدرس الأبلغ للدعاة المخلصين لله عزَّ وجلّ .. إنّ طريق النصر الحقيقيّ رهين بأن يكونوا جزءاً من هذه الشعوب الناهضة بصحوتها الإسلاميّة رغم سائر العقبات والحواجز ، وأن تكون مواقفهم واضحة قوية جريئة تجـــاه تلك الأنظمة وسائر محاولاتها للاستمرار على تزييف إرادة شعوبنا المسلمة وفطرتها السوية

وكلّ سبيل من سبل الشيطان المتشعّبة تؤدي إلى الهلاك آجلاً أو عاجلاً رغم زخارف الدنيا ومتاعهـــا .. ثمّ إلى مقت الله وغضبه وعقابه

أمّا طريق النصر مع جيل المنتصرين بالله ، الثائرين على الباطل والطاغوت ، المغيّرين لواقع الذلّ والهـــوان أمـــام الطواغيت ، المقيمين بعون الله صرح بناء الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلاميّ .. فقد تبدو طريقاً طويلة شاقّة ، ولكنّها هي الطريق الوحيدة المؤدّية لنصر الله عزَّ وجلَّ آجلاً أو عاجلا .. ثمّ إلى مرضاة الله ورحمته وجنّته إن شاء .